

مقتطفات من (رباعيات ورباعيات) (صلاح جاهين - عمر الخيام - نجيب سرور): "نجيب سرور"



نشرة "الإنسان" 2018/12/08

السنة الثانية عشرة - العدد: 4116

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhawy@hotmail.com

مقدمة:

امتدادا لما أشرنا إليه سابقا، وبإصرار العناد والأمل: تم تخصيص اليوم "السبت" لمقتطفات من كتاباتي السابقة التي لها علاقة دالة بالفروض التي تعتبر إرهابيات أو أساس هذا الفكر الدائم النمو والتطوير.

(رباعيات ورباعيات (1))

(صلاح جاهين - عمر الخيام - نجيب سرور)

نجيب سرور

الهجوم الدفاعي..ومرارة المعركة

مقدمة:

وصلتني رباعيات نجيب سرور (2) مثل السوط الصلب المخشوشن المحمى طرفه بالنار، حتى احمرّ جمرا، وقد غُمس في سُمّ ناجع، يلهب ويُدْمى ويؤقظنا ويفزعنا بتلاحق لا يسمح حتى باستيعاب الألم، ثم يتركنا ليسرى السم في موتنا لعلنا نستيقظ (باعتباره "ناجعا" (3) "، أو فلندفع الثمن ونحن نستشيق تراب، وعفن وجودنا القبيح القذر.

جمعت رباعيات سرور في هذه الجملة أيضا، التي مثلت عندي بمثابة "الفرض"

يقول سرور من خلال رباعياته:

"أنا وحيد يا أولاد القحبة، وأنتم عميان قساة وكل منكم مشروع خائن، إن لم يكن قد خان بعد وأخص بالذكر اليهود والأغنياء، أولاد الكلب السفاحين، القتل والصمت والجنون هو جزاؤكم العادل، لو أنكم تهاوتنم معهم، أو نسيتم ما هو أنتم، وأبو العلاء المعري أحكم كل حكماء العصور، وحتى القبر لن يرحمكم. خذوها الجلدة تلو الجلدة، الرباعية تلو الرباعية، أنا لست محتارا أصلا؛ فقضييتي ساطعة كالشمس: إنكم أغبياء سفاحين وأنا وحيد مكلوم أنزف قيحا، ليتناثر قذى في عيونكم."

نجيب سرور في رباعياته أساسا، وربما في حياته لم يعرف الأمان أصلا، اللهم إلا "تلويحا عابرا" طمّعه وخانه، فانطلق يضاعف من جرعة التوجس؛ باعتبار أن الهجوم خير وسيلة للدفاع، فامتطى جواد شعره الجامح، وذهب يلهب ظهر العالم بسوط مسموم الطرف، تساعد في استمرار عدوانه أغاني الفخر، وأهازيج الفتونة؛ يحمي بذلك نفسه وحيدا في مواجهة العالم الكاذب اللعين.

وقد خلّت رباعياته بعكس رباعيات الخيام من الشكوى المباشرة، والتألم الصادق البسيط، إلا أن هذا

ليكن صمت جميع الشعراء
قدرا يُشمره في وجه
القدر

على الرغم من ذلك فهو لا
يسكت، بل يعلم تماما ماذا
يمكن أن تُحدث كلماته من
أثر:
إنهم يخشوننا فالشعر سعر
هبة الله لكل الأنبياء

لا ينفى وجود الألم، بل لعله يؤكد عمق حدته إلى درجة لا تسمح بمواجهته، أو إعلانه، أو مجرد الحديث عنه، أو الإشارة إليه إلا مُسقطاً فينا وعلينا، وهو يقف فينا (مثل الخيام) خطيباً، ولكن شتان بين خطيب وخطيب، فمنبر نجيب سرور هو ظهر جواده الجامح، في حين كان الخيام يقف خلف منبره (مقصف خمره أيضا = البار) بانعا أو هام أو كؤوس السعادة الذاتية.

والحل الذي يطرحه سرور، هو القتل بلا إبطاء، وحتى احتجاجه الانسحابي الداعي إلى الصمت، لم يكن إلا سيفاً بتاراً، يشهره في وجه القدر.

الصمت المتكلم

وعلى الرغم من البداية الشاكلة في جدوى الكلمات، كما وردت في أول رباعية، وهي هي وردت في آخر رباعية:

فليكن صمت جميع الشعراء

قدرا يُشهر في وجه القدر

(1/6)، (4) (525/86)

على الرغم من ذلك فهو لا يسكت، بل يعلم تماماً ماذا يمكن أن تحدث كلماته من أثر:

إنهم يخشوننا فالشعر سحر

هبة الله لكل الأنبياء

(193/74)

وهو يعلن صراحة ما يدعونا لقراءة الصمت:

اكتبوا الصمت إذن فالصمت حرف

(49/22)

الكلمة والإيقاع

والفرس الجامح الذي يركبه سرور، هو "الكلمة"، والسوط مسموم الطرف، هو "الكلمة"، وفاعلية كلماته تتضاعف، من خلال لهاث إيقاعه المسموم.

ويكاد القارئ يراه رأى العين، في رباعياته، وقد أمسك بالكلمة، ففكها، وركبها. وصلها، وسنّها، وأحكم مقودها، ثم غمسها في منقوع المر المسموم، ثم نراه وقد تلعّف بها، ثم راح يجول ويصول وهو يفرقع ويلطمنا بها في كل موقع؛ حتى أوجعنا وأنزفنا، ولعله أيقظنا، ولكنه أبدا لا يدعها (الكلمة) تسكن بين أيدنا خشية أن نمتهنها، أو نزيّن بها عقولنا كما اعتدنا.

اعتقدت وأنا أعيش هذه الرباعيات أنه يكاد لا يستطيع قارئ يقظ أن يتلقى كلمات سرور هذه مسترخياً أبداً، ويبدو أن من صفات إبداع سرور أنه يسيطر على الكلمة بعدوانه، ولا يكتفى بأن يستعملها أداة لعدوانه المغير، (قارن الكلمة عند صلاح جاهين). أنظر إليه وهو يفكها ويقطعها ويلمها وينطقها (بتشديد الطاء)

كلماتٌ كلماتٌ كلماتٌ

إنه يونس ياسين يسوع

(40/19)

ثم:

كلماتٌ في اشتقاق وانعكاس

مثلما موسى.. وماس؟.. ثم سام

هو يعلن صراحة ما يدعونا
لقراءة الصمت:
اكتبوا الصمت إذن فالصمت
حرف

الفرس الجامح الذي يركبه
سرور، هو "الكلمة"، والسوط
مسموم الطرف، هو "الكلمة".
وفاعلية كلماته تتضاعف، من
خلال لهاث إيقاعه المسموم

يكاد لا يستطيع قارئ يقظ
أن يتلقى كلمات سرور هذه
مسترخياً أبداً، ويبدو أن من
صفات إبداع سرور أنه
يسيطر على الكلمة بعدوانه،
ولا يكتفى بأن يستعملها
أداة لعدوانه المغير

ثم سمّ.. لنرى النسناس ناس
ويظل الصلّ (5) يسعى فى الظلام

(41/19)

لاحظ جرأته على تقسيم كلمة النسناس ولعبه الحرّ بحرفيّ السين والميم بحيث تراه وهو يفعل ذلك وقد امتلك ناصية الكلمات بل والحروف بإبداعية مخترقة.. (أنظر بعد) وهو يلعب بها وبمقاطعها كما شاء له اللعب، دون أن يفقد القيادة أبداً:

إعكسوا اللص فإن اللص صل
واعكسوا العكس فإن الصل لص
يا ظلال الكهف ما صلّ وظل
ها هو الصقر وبالمعكوس رقص

(42/19)

ومن هذه البداية العدوانية بالكلمات، وعلى الكلمات ذاتها، نستطيع أن نمسك بالخيط الأساس الذى تنتظم من خلاله أغلب، أو كل الرباعيات، وهو:
القتل هو الأصل،... والحل هو القتل.

نجيب سرور (نجيب الرباعيات.. وربما نجيب الشخص دون إلزام) لا يعرف الأمان، ذاقه فأثاره واختفى، فأنكره، بل رفضه أصلاً وتاماً:

لا تقولوا “وعلى الأرض السلام”
إنها من غيظ موتانا تُقات

(6/7)

“كُتِبَ القتل علينا والقتال”

(217/84)

فالقتل الأصل، والقتل الحل، هو القانون الأودد للوجود؛ ذلك لأن المسيرة البشرية تبدأ بالقتل قبل البداية، وتضع الرباط تلو الرباط، حتى إذا نجا الواحد من أولها، لحقه آخرها. فالجنين هو أول ضحايا الاغتتيال مع سبق الإصرار:

فى بطون الناس تُغتال الأجنّة

(9/8)

فإذا نجا بالصدفة أو بالعناد، وولد - لاسمح الله - فإن الموت يولد على رأسه، وكأنه التوأم الملاحق:

يولد الموت على رأس الوليد

(10/9)

فإذا نجا الوليد يوماً أو عاماً أو يزيد، فعليه أن يكفّر عن هربه بأن يفعلها هو “نفسه”... وإلا:
ما الذى يبقى سوى أن نتحر

(10/9)

فإذا حدث أن أبى الواحد منا أن ينتحر، وراح يحاول الحياة ليعيد صياغتها، فقد وقع - كما يقرر سرور - فى شر أعماله، وعليه أن يدفع الثمن، الحصار فالانفجار، والحصار قد يشمل أن يرمى الواحد بالجنون، أو أن يتلفت مذعوراً مدافعاً طول الوقت؛ خشية أن يرمى بالجنون، والانفجار هو أن

أنظر إليه وهو يتكلم
ويقطعها ويلمها وينطقها
(بتشديد الطاء)
كلماتٌ كلماتٌ كلماتٌ
إنه يونس ياسين يسوع

نجيب سرور لا يعرف الأمان،
ذاقه فأثاره واختفى،
فأنكره، بل رفضه أصلاً
وتاماً:
لا تقولوا “وعلى الأرض
السلام”
إنها من غيظ موتانا
تُقات
“كُتِبَ القتل علينا والقتال”

إذا حدث أن أبى الواحد
منا أن ينتحر، وراح يحاول
الحياة ليعيد صياغتها، فقد
وقع - كما يقرر سرور - فى
شر أعماله، وعليه أن يدفع
الثمن، الحصار فالانفجار

يجن فعلا وكأنه قد حقق الموت بصورة متجدية:

ما الذى يلزم كى يُقتل شاعر
إن تأبى فأبى أن ينتحر
الذى يلزم أن يحيا محاصر
واخنقوا البركان حتى ينفجر

(12/9)

إذن لا مفر، ولا خيار:

والذى يُقلت منا بعد سجن

بعد شئق: سوف يُرمى بالجنون

(18/11)

- [1]المقتطف من كتاب ”رباعيات ورباعيات“ (من ص73 إلى ص77) (الطبعة الأولى 1979، والطبعة الثانية 2017) والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو الرابط

- [2]فى النسخة التى بين يدي: رباعيات نجيب سرور (الطبعة الأولى 1978) منشورات مدبولي، كتب المؤلف فى آخر صفحة: السبت الأول من يونيو سنة 1974مستشفى الدكتور النبوى المهندس للأمراض العقلية. ولا أتصور أنه كتب هذه الرباعيات جميعا فى ذلك المستشفى العقلي، أثناء تلك النوبة. لعله فقط أنهاها أو سوّدها هناك، ثم أعاد تنظيمها وصياغتها فيما بعد. وإن كان لا يمكن نفي الاحتمال الأول احتراما لشجاعته.

- [3]نجع الشئء نجوعا: نفع وظهر أثره.

- [4]نهج الترقيم ذاته (رقم الرباعية - شرطة مائلة - رقم الصفحة) نسخة منشورات مدبولي، 1978 (قمت بترقيم الرباعيات شخصا).

- [5]الصل (بكسر الصاد وتشديدها): الحية من أخبث الحيات

الحصار قد يشمل أن يرمى
الواحد بالجنون، أو أن
يتلفته مذمورا مدافعا طول
الوقت؛ خشية أن يرمى
بالجنون، والانفجار هو أن
يجن فعلا وكأنه قد حقق
الموت بصورة متجدية

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD081218.pdf

*** **

جائزة الغالبي أحرش أو
لشبكة العلوم النفسية العربية سنة 2018

دعوة لتقديم الترشيحات

شروط الترشح للجائزة

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2018/APNprize2018.pdf

إرتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsynfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>